الإمام جلال الدين السيوطي
العالم الموسوعي

الأستاذ بديع السيد اللحام

عاش الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) في آواخر العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بـ(عصر سلاطين المماليك) الذي تميز بحركة علمية نشيطة ، وأنجب عدداً كبيراً من أساطين العلم ، وقد تميزت الحركة العلمية في هذا العصر بظهور الموسوعات العلمية التي تشمل الفنون المعروفة فيه كافة ، ولذلك وصف هذا العصر ، بأنه (عصر الموسوعات) أو (عصر المجاميع) ، ويعد السيوطي أبرز العلماء الموسوعيين في هذا العصر ، وقد حاولت في هذا البحث أن ألقي الضوء على هذه الناحية في حياة السيوطي ، مبتدئاً بنشأته ، ومختتماً برحلاته العليمة ، مروراً بالعلوم التي برز ونبغ فيها ، ومعرفاً بأشهر أساتذته :

نشأته العلمية المبكرة :

نشأ الإمام جلال الدين السيوطي في بيئة علمية ، إذ كان والده من أهل العلم ، كما كانت أسرته ذات ميل إلى التصوف واعتقاد بالأولياء فلا عجب بعد ذلك أن نجده ومنذ بداياته الأولى يميل إلى العلم والتعلم بكليَّته ، وقد ساعده على ذلك حرص والده الشديد على تعليمه وتسليكه طريف الطلب فكان يحمله وهو ما يزال صغيراً لم يتجاوز الثالثة من عمره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويحضره مجالس أكابر العلماء في عصره ، يقول السيوطي عند ترجمته للشيخ رضوان العقبي :

« لا أشك في أنَّ لي منه إجازة ، فانَّه كان مُسمِع الحديث بالشيخونية ، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده ، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية ، مات في رجب سنة ٨٥٢هـ »[1] ، وما كان والد السيوطي ليكتفي باحضار ابنه الضغير مجالس العلماء بل وجَّهه إلى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية .

ولكن السيوطي لم ينعم بالرعاية الأبوية طويلاً إذ سرعان ما توفي والده ولم يكن قد تجاوز السنوات الست من عمره ، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم ، ولكن هذا الحادث الجلل بالنسبة إلى طفلٍ صغيرٍ لم يؤثر في توجه الصبي العلمي ، وذلك أن والده كان قد أسند وصايته إلى عدد من علماء عصره وعلى رأسهم العلامة المحقق الكمال بن الهمام الحنفي الذي نشأ الإمام السيوطي ملحوظاً بعنايته[2] .

استمر السيوطي سائراً على الطريقة التي نشَّأه عليها والده ، فأتمَّ حفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الثماني سنوات من حياته ، وأتمَّ حفظ عدد من المتون مثل : (منهاج الطالبين) في فروع الشافعية للنووي ، و(منهاج السول في علم الأصول) للبيضاوي ، و(الألفية في النحو) لابن مالك ، و(عمدة الأحكام عن سيد الأنام) في الحديث لعبد الغني المقدسي ، وقد عرض ما أتمَّ حفظه من هذه المتون على عدد علماء عصره أمثال : العلم

---

(١) المرجع السابق : ٥٠ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بغية الوعاة : ١٦٧/١ ، وانظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله المراغي : ٦٥/٢ ، وطرز العمامة : ٨١٥ (مطبوعة ضمن شرح مقامات السيوطي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ أمين الدين الاقصرائي ، وذلك في صفر سنة (٨٦٤هـ) أربع وستين وثمانمئة ، وله خمس عشرة سنة[١] .

تلك كانت نشأة السيوطي الأولى : (بيئة علمية حافلة بالشيوخ الكبار ، أسرة صالحة ، ذكاء فطري ، حافظة قوية ، موهبة فذَّة) عوامل ساعدت على النبوغ العلمي المبكر .

دراسته والعلوم التي نبغ فيها :

بعد تلك الطفولة المباركة والنشأة الطيبة ، توجَّه السيوطي إلى الاشتغال بالعلم مجرداً همته لذلك ، لا يلتفت إلى شيءٍ من أمور الدنيا ، فقد كان يمتلك الرغبة القوية الجامحة ، والاستعداد الحسن والمتابعة الجيدة للتحصيل العلمي ، فلازم العلماء ملازمة تامة وزاحم الطلبة بالأخذ عن أئمة عصره في كل فن ، وعكف على الكتب والمكتبات ينهل مما فيها ، وجدَّ واجتهد ، بحيث كان يمضي وقته كلَّه متنقلاً من حلقة شيخ إلى مجلس عالم لا يعرف الكلال والملل ، يقول :

« .. وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة (السبت والاثنين والخميس) وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي .. »[٢] .

ومما يلاحظ على طريقة السيوطي في التلقي عن الشيوخ أنَّه كان

---

(١) التحدث بنعمة الله :٢٣٦ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يلازم الشيخ من هؤلاء المذكورين إلى وفاته ثم ينتقل إلى غيره وهكذا ، ولذلك يقول : « ..ولازمته – أي العلم البلقيني – في الفقه إلى أن مات .. فلما توفي سنة ثمان وستين لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي »[١] .

والأمر الآخر الذي تميَّز به السيوطي في أثناء تلقيه للعلم أنَّه كان يصب اهتمامه على المباحث العلمية الدقيقة والجادة ، ولايكتفي بمجرد السرد والسماع ، وهو ما عبر عنه بقوله :

« ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية .. »[٢] .

لقد كان إقبالُ السيوطي على العلم إقبالَ الجائع النَّهم الذي لا يرتوي مصداق حديث النبي ﷺ : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »[٣] وقد كان السيوطي نموذجاً لطالب العلم الذي لا يشبع ، وقد آتى هذا الحب للعلم والجلد عليه أُكُلَه عند السيوطي سريعاً ، فما هي إلا أن أجازه أشياخه بالتدريس ولم يجاوز السابعة عشرة من عمره ، ففاق أقرانه وأصبح المشار إليه بالبنان ، وتصدَّر للتدريس في سن مبكرة[٤] .

---

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ وقارن بتصدير طبقات المفسرين له (طبعة ليدن) : ص٥ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي (المستدرك : ٩٢/١) وقد أخرجه ابن عدي في الكامل : ٢٢٩٦/٦ ، والطبراني في المعجم الكبير :٢٢٣/١٠ ، وقال الهيثمي : « فيه ليث بن أبي سليم ضعيف » (مجمع الزوائد : ١٣٥/١) وعزاه في المطالب العالية (١٢٣/٢) إلى إسحاق بن راهويه وقال : « فيه ضعف وله شاهد » قلت : وشاهده عند ابن أبي خيثمة في العلم ، انظر جامع الأحاديث (رقم :٢٣٣٨٣) .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٨٨ و ٢٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ولم يقتصر تفوق السيوطي وتقدمه على فن واحد ، بل فاق ونبغ في أكثر علوم عصره ، يقول عن نفسه :

« قد رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة [١] بحيث أنَّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمَّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها : الفرائض والإنشاء والترسل ... (ولم) أتبحر في الفرائض كتبحري [٢] في تلك مع أنَّ معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم [٣] وقد ألَّفت فيها مؤلفاً جامعاً

---

(١) كذا وقعت العبارة في : التحدث بنعمة الله (٢٠٣) وحسن المحاضرة (٣٣٨/١) أما الشعراني فقد نقلها عن السيوطي على الوجه التالي : « .. على طريقة العرب البلغاء وعلى طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفات » أقول : والذي يظهر لي أن ما جاء عند الشعراني هو الوجه الأقرب وكأنَّ العبارة قد تصحفت في التحدث وحسن المحاضرة ، وذلك أن السيوطي قد تمرس بهذه العلوم على يد شيخ أعجمي رومي كان حجة عصره وهو الشيخ محيي الدين الكافيجي ، وقد تأثر السيوطي به كثيراً ونقل في الأشباه والنظائر النحوية عنه الكثير من المباحث ، إضافة إلى أن آثاره في علم البلاغة تؤكد ذلك ويكفي للتدليل على ذلك أنه استنبط من آية واحدة مئة وعشرين نوعاً بديعياً بحيث يشعر القارئ بأنه يقرأ بحثاً فلسفياً أكثر منه بلاغياً ، وذلك في كتابه (فتح الجليل للعبد الذليل) – مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي في لاهور – .

(٢) لعل السيوطي يقصد أنَّه لم يتبحر في الفرائض كتبحر شيخه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان يعد فرضي عصره بلا منازع ، وإلا فهو أعلم أهل عصره بعد شيخه فيها .

(٣) أقول : اشتهر بدر الدين المارديني (المتوفى : ٩١٢هـ) في الرياضيات والفرائض وهو عصريّ السيوطي ، وقد كان المارديني يرجع إلى السيوطي فيما يشكل عليه من مسائل الفرائض من ذلك سؤاله في مسألة الولاء التي أجابه السيوطي عنها برسالته المسماة (البدر الذي انجلى في مسألة الولا) المطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي : ١٧٧/١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سميته (الجامع) لم أُسبق إلى مثله ، جمعت فيه مسائل الفن وما فيها من خلاف على جميع المذاهب حتى مذاهب الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو في غاية الوجازة[١] ... ودون ذلك في المعرفة : القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ولذلك لم أقرئها أحداً لأنَّها فن إسناد وقد ألَّفت فيها التأليف البديع[٢] ودونها الطب ، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي ، ومن ظنَّ أنّي قُلت ذلك قصوراً فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت عليَّ فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال »[٣] .

إن ما يدعيه السيوطي ليس مجازفة من غير دليل إذ يكفينا ذلك الكم الهائل من المصنفات والرسائل والمؤلفات التي تركها السيوطي وتداولتها أيدي العلماء حتى يومنا هذا[٤] .

---

(١) الجامع في الفرائض ما يزال مخطوطاً منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٣٨/٤٧٦٠) .

(٢) هو شرح الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) منه نسخة في الظاهرية (١٠/٢٩٩) .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ وانظر مسالك الحنفا : ٢٢٩ (ط/ضمن الحاوي) .

(٤) وضع السيوطي فهرساً لمؤلفاته سنة (٩٠٤هـ) أي قبل وفاته بسبعة أعوام ذكر فيه : (٣٦) مؤلفاً في فن التفسير ومتعلقاته و(٢٠٣) في فن الحديث ومتعلقاته و(٢٤) في ما يتعلق بمصطلح الحديث و(٧١) في الفقه و(١٧) في الأصول والعقائد والتصوف و(٦٣) في اللغة والنحو والتصريف و(٧) في المعاني والبيان والبديع و(٩) في الكتب الجامعة لفنون عديدة و(٦٩) في الأدب والنوادر والانشاء والشعر و(٢٩) في التاريخ ، وبلغ مجموع هذه المؤلفات : (٥٢٨) مؤلفاً حسب احصائي لما ورد في هذا الفهرس المطبوع في لاهور ضمن مجموع اثني عشر رسالة من رسائل السيوطي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إنَّ مما يلاحظ على كلام السيوطي السابق ما ذكره من أنَّه لم ينبغ النبوغ الكافي في فن الإنشاء والترسل مع أنَّه ترك لنا مجموعة من القطع الأدبية والمقامات لا تتأتَّى في أسلوبها وبلاغتها لأساطين الأدب في عصرنا ، يقول الدكتور مصطفى الشكعة واصفاً مقامات السيوطي :

« إنَّها نماذج من فن القول الأدبي تشهد لصاحبها ببلاغة القلم وتمكن الأسلوب ، وعمق الثقافة ، ورحابة الفكرة ، وخصب العطاء ، والقدرة على التنويع ، وكسر الطوق الذي ضرب حول شكل المقامة وهدفها »[١] .

أي أنَّ السيوطي يعد مجدداً في أدب المقامات[٢] وبلغ شأواً في سائر الفنون الأدبية يقول الشكعة : « من اليسير أن نقرر أن الرجل كان كاتباً بليغاً ، ومترسلاً متفنناً ، وأديباً فذاً ، ومؤدباً مرموقاً »[٣] .

« ولو أنَّه قدر لأعمال السيوطي الأدبية أن تنشر وحدها بمعزل عن آثاره العلمية المتعددة الموضوعات والفنون لكانت شاهدة على أن السيوطي كان واحداً من رجال الأقلام الأفذاذ في عصره وأنَّه في مقدمة كتَّاب زمانه إبداعاً وقدرة »[٣] .

وإن الإنسان ليعجب حينما يعلم بأن السيوطي لم يذكر من بين الفنون التي تبحر فيها فنوناً وعلوماً أُخرى يعدُّ أحد نوابغ عصره – بله العصور الإسلامية المختلفة – فيها ، منها على سبيل المثال (علم التاريخ)

---

(١) السيوطي كاتباً وأديباً : الدكتور مصطفى الشكعة (مطبوع ضمن كتاب الندوة) : ٤٣٢ .

(٢) انظر أبرز خصائص التجديد في مقامات السيوطي في شرح مقامات السيوطي لسمير الدروبي : ١/١١١ – ١١٩ ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : م ٤٢٧/٥ .

(٣) السيوطي كاتباً وأديباً : ٤٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يعرف من نفسه أنّه أتى فيه بفوائد لم تتأتَّ لبعض شيوخه حيث يقول في مقدمة كتابه الشماريخ في علم التاريخ :

« وبعد: فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً[١] فوضعت في هذا الكتاب من فوائده ما تقر به الأعين وتنحل به الألسن »[٢] .

كما ترك في هذا الفن سوى كتاب الشماريخ عدداً من المؤلفات النافعة الهامة والمفيدة ، وقد أُجريت حول عدد منها البحوث والدراسات الكثيرة مما يدلُّ على أهميتها ، فيعرِّف أحد الباحثين مثلاً كتاب حسن المحاضرة بقوله :

« هو من أمهات المصادر في تاريخ القاهرة خاصة ، وفي التاريخ المصري الإسلامي عامة ، ويضيق المجال في استقصاء روائع ما اشتمل من حقائق ومعلومات واحصائيات وتحليل ونقد ووصف لمظاهر الحياة المصرية في القرن التاسع الهجري »[٣] .

لكل ذلك : « نستطيع أن نقرِّر أن السيوطي كان في مقدمة المشتغلين بالدراسات التاريخية »[٤] .

---

(١) يشير إلى كتاب شيخه الكافيجي المسمى (المختصر المفيد في علم التاريخ) الذي طبع روزنثال قطعة منه ضمن كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) : ٣١٧ وما بعدها .

(٢) الشماريخ في علم التاريخ : ٢٥ - ٢٦ ، (مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي بلاهور) .

(٣) مقال للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجلة المنهل السعودية العدد/٤٥٦/ ص : ١٩٣ ، وانظر وصفاً تحليلياً ونقدياً للكتاب في تراث الإنسانية : ٢/٦٣٠ وما بعدها بقلم إبراهيم الأبياري ، وبحثاً للدكتورة سيد كاشف مطبوع ضمن كتاب الندوة : ١٣٣ - ١٥٠ .

(٤) دراسات نقدية وتحليلية لكتاب تاريخ الخلفاء : الدكتور علي الخربوطلي ص١٩٣ (مطبوع ضمن كتاب الندوة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول باحث آخر : « إن ما تركه السيوطي من المؤلفات التاريخية يسمح لنا أن ننظمه إلى جانب كونه إماما من أئمة الحديث كذلك في سلك المؤرخين »[١] .

وقد سبق إلى ذلك كله نجم الدين الغزي حينما وصف السيوطي بأنَّه : (حجَّة في التاريخ)[٢] .

أما كراتشكوفسكي – المستشرق الروسي – فقد عدَّ السيوطي من بين أبرز الجغرافيين العرب ، وقد أشار إلى أنَّ بعضاً من مقاماته تمس علم الأجناس البشرية (الاثنوغرافية)[٣] .

أما علم الكلام فقد كان السيوطي يميل إلى عدم الاشتغال به ، وقد نقل عنه السخاوي أنَّه قال : « إنَّ بضاعتي في علم الكلام مزجاة »[٤] ولكن هذا لا يعني أنَّه غير متمكن من هذا العلم نستنتج ذلك من كلامه ومصنفاته ، أما كلامه فما ذكره عن نفسه في مقدمة رسالته (الحبل الوثيق في انصرة الصديق)[٥] حيث يقول :

« .. وهذه مسألة تفسيرية حديثية أصولية (كلامية) نحوية ، فمن لم يكن متبحراً في هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم في هذه المسألة ، وأنا أوضح الكلام عليها في فصلين .. »

---

(١) مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عنان : ١٤٢ ، وانظر : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية له أيضاً : ٦٤ .

(٢) لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر للغزي : ١/١٨٤ (ط/وزارة الثقافة السورية) .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي العربي : ٤٨٩ .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٤/٦٨ .

(٥) مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي : ٢/٣٢٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أي أنه متبحر في هذه العلوم الخمسة التي منها علم الكلام .

أما مصنفاته فيكفي الإنسان أن يطالع تكملته لتفسير الجلال المحلي ، وشروحه لكتب الحديث عندما يفسر أو يشرح آيات وأحاديث العقائد والصفات ، ليشهد بأن السيوطي متمكن في علم الكلام عارف بمسائله معرفة خبير حاذق متضلع .

وأما (علم المنطق) فللسيوطي معه شأن آخر سأدعه يحدثنا عن قصته معه حيث يقول :

« ووقعت لي في أيامه – أي البلقيني – واقعة تحريم المنطق وهو أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها ، وذلك أنّي كنت اشتغلت به فقرأت (ايساغوجي) وشرحه على الشيخ شمس الدين الحنفي ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين – رجل رومي قدم علينا بالشيخونية فنزل عند شيخنا الكافيجي – وكنت إذ ذاك اختصرت (ورقات) إمام الحرمين في مقدمة لطيفة ، فرآها معي القاضي المذكور فأخذها ثم لم يردها إليَّ ، وربما توهمت أنّه يريد نسبتها لنفسه إذا ذهب إلى البلاد فسقط من عيني وكنت أبحث معه في المسائل الشرعية فأجده عارياً منها فازدريت المنطق جملة ، ثم وقفت على كلام العلماء في ذمّه ، وما أفتى به (ابن الصلاح) فملت عن المنطق كل الميل ، فألفت كراساً سميته (الغيث المغرق في تحريم المنطق)[1] .

إذاً بامكاننا أن نقول ابتداء إن السيوطي يحرم الاشتغال بالمنطق ، وانه علل ميله عنه بالتأثر السلبي لسلوك عالم من علماء المنطق من ناحية ، وفتوى عدد من علماء المسلمين بتحريم تعاطي هذا العلم من ناحية أخرى .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤١ ، وقارن بما جاء في اكتفاء القنوع لادوارد فنديك : ٧٦ و٨٧ (طبع مصر بتصحيح محمد علي البيلاوي) ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن هل يعني هذا أنَّ السيوطي كان عرياً عن معرفة هذا العلم وللجواب على ذلك نتابع ما يقوله السيوطي في مقدمة كتابه صون المنطق والكلام :

وبعد: فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وستين ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته (القول المشرق)[1] ضمنته قول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه ، وذكرت فيه أنَّ شيخ الإسلام أحد المجتهدين تقي الدين ابن تيمية ألف كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ، ومضى على ذلك عشرون سنة، فلما كان في هذا العام وتحدثت بما أنعم الله عليَّ من الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، وذكر ذاكر أنَّ من شروط الإجتهاد معرفة فن المنطق – يعني : وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه – وما شعر المسكين أنِّي أحسنه أكثر مما يدعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصوله وقواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها ، معرفة ما وصل إليها شيوخ المناطقة الآن ... »[2] .

إذاً فالسيوطي مقرٌّ ببراعته في علم المنطق ومعرفته فيه ، وهذا الإقرار ليس مجرد مجازفة عارية عن الدليل ، فإن من يطالع بعض مؤلفات السيوطي

---

(١) هو نفسه كتاب (الغيث المغدق – المغرق – في تحريم المنطق) الذي مرَّ ذكره قبل قليل ، وللسيوطي في تحريم المنطق أيضاً :

١ – صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .

٢ – جهد القريحة في تجريد النصيحة – لخص فيه كتاب ابن تيمية : نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان – وكلاهما مطبوع بتحقيق الدكتور علي النشار بمصر .

٣ – فتوى في تحريم المنطق ضمن الحاوي للفتاوي : ١/٢٥٥ – ٢٥٧ ، وقد عنونها الطابع بالقول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق ، والذي ظهر لي أنَّ هذا العنوان ليس لهذه الفتوى بل أضيف من بعض الناسخين في بعض النسخ المخطوطة فأثبته الطابع .

(٢) صون المنطق والكلام : ٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يشعر بأنَّه يستخدم فيها أساليب المناطقة ومصطلحاتهم مثال ذلك كتابه : (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) المطبوع ضمن (الحاوي للفتاوي)[١] وأما في (مقامته البحرية) ، فقد جعل السيوطي من بين شخصياتها رجلاً يتحدث عن قضية نقصان النيل بعد وفائه بمصطلح أهل المنطق[٢] .

وبعد : أظن أن ما تقدم يكفي للتدليل على أن السيوطي لم يكن « مسترسلاً »[٣] فيما ادعاه من تبحره في العلوم التي أشار إليها ، وكيف يدعي ما ليس عنده وهو يروي حديث النبي ﷺ[٤] . « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » ويشرح هذا الحديث بقوله : « المتشبع بما لم يعط : أي المتكثر بما ليس عنده »[٥] .

شيوخه وأساتذته :

لقد زخرت مصر في عصر السيوطي بنخبة من العلماء والمفكرين والمحققين في جميع فروع المعرفة الإسلامية ، وكان من حظِّ السيوطي أنَّه تتلمذ لصفوة علماء عصره بحيث كان يوصف الواحد منهم بأنَّه حجة في

---

(١) الحاوي للفتاوي : ٢/٢٠٢ وما بعدها .

(٢) المقامة البحرية : ٢٥٧ و٢٦١ و٢٦٩ (شرح مقامات جلال الدين السيوطي بتحقيق سمير الدروبي ، ط/مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م) .

(٣) الضوء اللامع : ٤/٦٩ .

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٩١٦٨) (ط/ محيي الدين عبد الحميد) وقد أخرجه البخاري في النكاح باب المتشبع بما لم ينل (رقم :٤٩٢١) ومسلم في اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس (رقم : ٢١٢٩) وأبو داود (رقم : ٤٩٩٧) وأحمد في المسند .

(٥) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٢٦٢ ، وانظر روح التوشيح : ٣١٥ والفارق بين المصنف والسارق للسيوطي : ٨٢٠ و٨٢٤ (مطبوع ضمن شرح مقامات السيوطي) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فنه الذي برع فيه ، مع مشاركته وبراعته في بقية الفنون كما سيتضح لنا من خلال تراجمهم الموجزة التي سأوردها فيما يلي ، فمن أشهر هؤلاء :

(١) شمس الدين الحنفي[١] :

هو العلامة : محمد بن سعد بن خليل المرزباني الحنفي المعروف بـ (ابن سعد الدين) .

ولد بعد السبعين وسبعمئة .

كان خازن كتب الشيخونية ، مشهوراً بالصلاح والانجماع عن الناس والإنقطاع إلى الله تعالى ، مقبلاً على نفع العام والخاص والإقراء والتعليم ، وكانت تقريراته للدروس تقريرات بحث .

تمكن من علوم اللغة والمنطق وعلم الكلام فأصبح مبرزاً بين علماء عصره فيها وقد لازمه السيوطي في هذه الفون فقرأ عليه (الكافية) و(شرحها) للمصنف ، و(المتوسطة) و(الشافية) و(ايساغوجي) و(شرحه) للكاتي ، وبعضاً من كتاب سيبويه ، كل ذلك قراءة بحث واتقان ، كما سمع عليه الكثير من الكتب بحثاً مثل : (شرح العقائد) للتفتازاني ، وتلخيص المفتاح ، وبعض (مختصر ابن الحاجب) الأصلي ، وشيئاً من (ألفية العراقي) ، وغيرها .

توفي في شعبان سنة سبع وستين وثمانمئة (٨٦٧هـ) .

---

(١) ترجمته في : نظم العقيان : ١٤٩ ، بغية الوعاة : ٧٨/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٣٧ – ٢٣٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢) علم الدين البلقيني :[1]

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام : صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني الشافعي ، سليل إحدى الأُسر العلمية التي سطع نجمها إبَّان عصر المماليك .

ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) .

قرأ على جلَّة علماء عصره ، وتخرَّج بأخيه شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني ، واختير لمنصب قضاء القضاة بعد وفاة أخيه المذكور سنة (٨٢٦هـ) وقد كان في قضائه مهيباً فطناً كما تصفه المصادر .

ألَّف عدداً من الكتب عرف منها تفسيره للقرآن ، وشرحه على البخاري ، وحواشيه على الروضة في الفقه الشافعي وغيرها .

تمكَّن في الفقه وعلا نجمه فيه وبذَّ الأقران ، وقد وصفه السيوطي بأنَّه « إمام الفقهاء ، وحامل لواء مذهب الشافعي في العراق ومصر والشام » وقد ذكر أنَّه بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه .

لازمه السيوطي في الفقه الشافعي من سنة (٨٦٥هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه كتاب (التدريب) لوالده إلى كتاب الزكاة ، وسمع عليه من أول (الحاوي) إلى العدد ومن أول (المنهاج) إلى الزكاة ، ومن أول (التنبيه) إلى الزكاة ، وقطعة من (الروضة) وقطعة من (التكملة) للزركشي إلى الوصايا وغير ذلك .

---

(١) انظر ترجمته في : نظم العقيان : ١١٩ ـ حسن المحاضرة :١/١٤٤ ـ التحدث بنعمة الله : ٢٣٨ ـ وقد أفرده بالترجمة كما ذكر في حسن المحاضرة ولكنها مفقودة ، وراجع الضوء اللامع ٣/رقم ١١٩٩ ، و٤/٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أجازه بالافتاء والتدريس سنة (٨٦٦هـ) في شهر شوال ، وحضر تصديره لدى مباشرته تدريس الفقه في الجامع الشيخوني في ذي القعدة (٨٦٧هـ) .

توفي البلقيني في رجب سنة (٨٦٨هـ) .

(٣) شرف الدين المناوي :[1]

قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المناوي المصري الشافعي . (جد عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير) .

ولد سنة (٧٩٨هـ) .

سمع الشرف ابن الكويك ، ولازم ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول ، وتمكن في الفقه الشافعي حتى عدَّ من مجتهدي المذهب .

تصدر للإفتاء والتدريس ، وعيِّن في قضاء القضاة سنة (٨٥٢هـ) وكان في قضائه ديناً ورعاً عادلاً . كما كان « صوفياً له أحوال وكرامات »[2] .

لازمه السيوطي بعد وفاة شيخه (العلم البلقيني) سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه : قطعة من (المنهاج) وسمعه عليه في التقسيم كاملاً إلا دروساً كما سمع عليه الكثير من شرح (البهجة) ومن حاشيته عليها ، ومن تفسير (البيضاوي) ، وغير ذلك .

توفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ .

---

(١) انظر ترجمته في : حسن المحاضرة : ٤٤٥/١ ، شذرات الذهب : ٣١٢/٧ .

(٢) السيوطي النحوي : ١٦١ نقلاً عن المنجم/في المعجم للسيوطي : ٧٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال السيوطي : « وهو آخر علماء الشافعية ومحقِّقيهم »[١] .

(٤) تقي الدين الشُمني[٢]

هو العلامة ذو الفنون : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى الشمني القسنطيني المالكي ثم الحنفي .

ولد بالاسكندرية سنة (٨٠١هـ) .

نشأ وتعلم بالقاهرة ، وتخرج على الشمس الشطنوفي ، والشمس البساطي ويحيى السيرامي والعلاء البخاري وغيرهم .

تميَّز في التفسير والحديث وعلوم اللغة ، وبرع في سائر العلوم ، وكان مالكياً ثم تحنَّف ، وطُلب للقضاء مراراً فأباه ، وعُني بنشر العلم والتصنيف ، فألَّف حاشية على المغني سماها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام) وله (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا) و(شرح مختصر الوقاية) و(شرح نظم نخبة الفكر) لوالده .

كان حجة متوقد الذكاء ، قوي الحافظة ، عفيفاً ، محباً للخير .

لازمه السيوطي أربع سنوات من سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فأخذ عنه الحديث رواية ودراية ، والعربية والمعاني ، فسمع عليه قطعة كبيرة من (المطول) وكذا من توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه روايةً الكثير ، وأطلعه السيوطي على شرحه لألفية ابن مالك ، وكتابه جمع الجوامع في العربية فاستحسنهما وكتب على الثاني مقرظاً : (وقفت على هذا الجمع المفرد

---

(١) كذا وصفه السيوطي في بذل المجهود في خزانة محمود (ط/ مجلة معهد المخطوطات م ٤/١/١٣٤) .

(٢) ترجمته في : بغية الوعاة : ١/٣٧٥ ، حسن المحاضرة : ١/٢٧١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتأليف الذي هو جوهرٌ منضدٌ)[١] .

يقول السيوطي : « وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه »[٢] .

توفي الشمني في ذي الحجة سنة (٨٧٢هـ) .

(٥) محيي الدين الكافيجي[٣] :

هو الإمام المحقق العلامة : أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي .

ولد قبل الثمانمئة للهجرة .

أخذ العلوم عن البرهان حيدرة والشمس بن العنزي وجماعة ، وترقى في مراتب المعقول حتى فاق وصار إمام الدنيا فيها ، وله تصانيف جاوزت المئة أكثرها في مسائل علمية مفردة .

يعد هذا الشيخ أكثر شيوخ السيوطي عطاء ، ومن ثمَّ فقد لازمه السيوطي أربعة عشر عاماً فأخذ عنه :

« .. الفنون قراءة وسماعا من التفسير والحديث والأصلين والعربية والمعاني وغير ذلك » وكتب له بخطه إجازة عظيمة . وقرأ عليه من (شرح القواعد) له وأشياء من مختصراته . وسمع عليه من (الكشاف) وحواشيه ،

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٦ .

(٣) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ ، بغية الوعاة : ١١٧/١ ، التحدث بنعمة الله ٢٤٣ . والكافيجي : نسبة إلى كتاب الكافية في النحو ـ لكثرة اشتغاله به ـ بزيادة (جيم) على عادة الترك في النسب (انظر لب اللباب : ٢١٨ ، تاريخ الأدب العربي لفروخ : ٨٩٩/٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و(المغني) وحاشيته ، و(توضيح) صدر الشريعة ، و(التلويح) للشيخ سعد الدين ، و(تفسير البيضاوي) والكثير من تصانيفه كـ : (شرح كلمتي الشهادة) و(مختصره) في علوم الحديث[١] و(شرح أحكام القوافي) وغير ذلك .

يقول : « .. وما علمت أنّه خُتم عليه كتاب لأنّه كان يقرأ قراءة الأئمة الراسخين في التحقيق ... وعلقت عنه فوائد وأبحاثاً[٢] وأجازني بتدريس سائر الفنون ... وقرَّرني في تدريس الحديث بالشيخونية .. وكانت مدة ملازمتي له أربع عشرة سنة ما دخلت عليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة »[٣] .

توفي الكافيجي في الرابع من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمئة (٨٧٩هـ) .

(٦) سيف الدين الحنفي[٤] :

هو الإمام العلامة : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي .

ولد على رأس الثمانمئة الهجرية .

أخذ عن مشاهير عصره أمثال : السراج قارئ الهداية ، والزين

---

(١) مطبوع بتحقيق د. علي زوين (نشر دار الرشد الرياض : ١٩٨٧م) .

(٢) أورد السيوطي بعضاً من أبحاث شيخه الكافيجي في كتابه : (الأشباه والنظائر النحوية) الجزء الرابع : ص٤١٦ ـ ٦٢٢ (ط/مجمع اللغة العربية بدمشق ، بتحقيق أحمد الشريف) .

(٣) المرجع السابق : ٢٤٤ .

(٤) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التفهني ولزم الكمال بن الهمام وتخرج به .

مهر في الفقه والأصول والنحو حتى قال عنه شيخه الإمام الكمال بن الهمام :

« هو محقق الديار المصرية ، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير وعدم التردد إلى أحد أبداً مدة عمره » ووصفت دروسه بأنَّها إليها المنتهى في التحقيق والتؤدة ونقل مقالات العلماء .

وقد لازمه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة من (الكشاف) و(التوضيح) وحاشيته عليه ، و(شرح شذور الذهب) و(تلخيص المفتاح) و(العضد) وغير ذلك .

مات في ذي القعدة سنة إحدى وثمانين ثمانمئة (٨٨١هـ) .

قال السيوطي : « وهو آخر شيوخي موتاً لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه العلم إلا رجلٌ قرأت عليه ورقات من المنهاج[١] .

هؤلاء هم الشيوخ الذين لازمهم السيوطي وأكثر من الأخذ عنهم وكان لهم الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية وتكوينه الفكري وسلوكه الاجتماعي وله سواهم مجموعة أخرى من الشيوخ جالسهم واستفاد من دروسهم ولكن لم تطل مدة مجالسته لهم ، ولم يكن لهم ذلك التأثير الواضح في شخصيته من أمثال :

الشيخ : جلال الدين المحلي (ت : ٨٦٤هـ)[٢] .

والعلامة : شهاب الدين الشارمساحي (ت : ٨٦٥هـ)[٣] .

---

(١) يشير إلى الشيخ شمس الدين الباني المتوفى سنة (٨٨٥هـ) (التحدث بنعمة الله ١٦٣) .

(٢) الكوكب السائرة : ٢٢٦/١ .

(٣) نظم العقيان : ٤٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقاضي القضاة عز الدين الكناني (ت : ٨٧٦هـ)[١] وسواهم .

أما شيوخ السيوطي في الإجازة والسماع فكثيرون جداً ، أوصلهم إلى أكثر من ستمئة شيخ وشيخة[٢] ، وبالجملة فـ :

« إنّ قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول قد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول »[٣] .

وقد حاولت فيما مرّ أن أركز الضوء على بعض ممن تخرج بهم السيوطي ليكون ذلك بمثابة رد على السخاوي الذي اتهم السيوطي بأنَّه لم يمعن في الطلب ، وأنَّه استبد بالأخذ من بطون الكتب ، وقد تابع غير واحد من الكاتبين السخاوي في ترديد هذه التهمة دون تحقيق ، يقول الدكتور عمر فروخ :

« ويبدو أن ثقافة السيوطي كانت راجعة إلى جهوده في المطالعة .. »[٤] .

رحلاته العلمية :

(**الرحلة الحجازية**) كانت رحلة السيوطي الأولى إلى الحجاز وابتدأها في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) حيث وصل إلى مكة بطريق بحر القلزم (الأحمر) منتصف جمادى الأولى ، واستمر مقيماً فيها مجاوراً إلى أن حجَّ في السنة نفسها وقد ألف في أثناء هذه الرحلة عدداً من المصنفات منها :

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ .

(٢) وجمعهم في معجم شيوخه الكبير المسمى (حاطب ليل وجارف سيل) .

(٣) روضات الجنات للخوانساري : ٤١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٨٩٩/٣ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ مختصر ألفية العراقي في المصطلح نظمها في نحو ثلثي أصلها قال في آخرها :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ... ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القلزم ... مسافراً للبلد المحرم
وفي ربيع لاح زهر نظمها ... وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي ... بعد ثمانمئة للهجرة[١]

٢ ـ كتاب على نمط كتاب (عنوان الشرف الوافي) احتوى خمسة أنواع من العلوم هي : النحو والمعاني والبديع والعروض والتاريخ ، وسماه (النفحة المسكية والتحفة المكية) أتم تأليفه في يوم واحد في نحو كراسة[٢] .

٣ ـ كما جمع السيوطي فوائد هذه الرحلة المباركة وما وقع له فيها ومن لقيه أو أجازه أو استجازه في كتاب سماه : (النحلة الزكية في الرحلة المكية)[٣] .

وبعد أداء مناسك الحج زار وقفل راجعاً إلى بلده فوصلها افتتاح سنة (٨٧٠هـ) وقد لقي في رحلته كبار شيوخ الرواية من علماء الحرمين الشريفين أمثال :

العلامة نحوي الحجاز قاضي المالكية محيي الدين عبد القادر بن أحمد بن محمود بن عبد المعطي الأنصاري (المتوفى : ٨٨٠هـ) الذي استجازه الإمام السيوطي وأطلعه على شرحه للألفية فاستحسنه وكتب عليه تقريظاً[٤] .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٧٠ .

(٣) وتسمى الرحلة المكية والمدنية (انظر التحدث بنعمة الله : ١٢٧ و ٧٩) .

(٤) ترجمته في بغية الوعاة : ٣٧٢/١ ، وانظر أيضاً : ١٠٤/٢ . وانظر نص تقريظه على شرح الألفية للسيوطي في التحدث بنعمة الله : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعلامة الحافظ نجم الدين بن تقي الدين محمد بن المكي (المتوفى ٨٨٥هـ) وهو من طلبة والده ، وقد أجاز السيوطي بمروياته وكتب بعضاً من مصنفات السيوطي ، وهو الذي أشار على السيوطي أن يختصر طبقات النحاة الكبرى فاختصرها بكتابه (بغية الوعاة)[١] .

الرحلة المصرية

وللسيوطي رحلة أخرى سوى الرحلة المكية زار فيها بعض مدن مصر أنشأها بعد عودته من رحلة الحج واستمرت نحواً من ثلاثة أشهر من رجب إلى شوال سنة (٨٧٠هـ) زار خلالها دمياط والفيوم والإسكندرية وغيرها من المدن ، وقد جمع فوائد هذه الرحلة أيضاً في مؤلف سماه (الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)[٢] يقول :

« وفي هذه الرحلة حدَّثت بعُشارياتي وبأشياء من نظمي ، وكُتب الكثير من كلامي وتصنيفي ، وطُلب مني الإجازة » .

ويتضح للباحث من خلال حديث السيوطي عن هذه الرحلات وما وقع له فيها أنَّه لم يخرج من القاهرة للارتحال إلا وقد أصبح وعاء علم وأنَّه كان هو المفيد أكثر مما كان مستفيداً ، وأن الذين أجازهم أكثر من الذين أجازوه مما يدل على أنَّ شهرته سبقته قبل أن يخرج .

---

(١) ترجمته في الرسالة المستطرفة : ٨٤ ، وانظر التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٢) وتسمى قطف الزهر في رحلة شهر ، وله في الرحلة إلى الفيوم مؤلف مستقل سماه (الرحلة الفيومية) انظر التحدث بنعمة الله : ٨٣ و١٢٧ وقارن بمكتبة الجلال السيوطي : ٢٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net